بين النسر والسنور

متى نسراً فهو أليق به ولو قال عنه الحيوان انهُ العقاب . وصف احد الكتّاب حربًا خيالية دارت رحاها بين النسر والسنور البري قال صمّتَ الزرع وهو نادر الصمت وسكتت القطا وهي دائمة الحركة . واسرعت الارانب الى اوجارها او وقفت على مقربة منها حتى تبادر اليها عند اقل شارة كأن هذه الحيوانات توقّعت عدوًّا مفاجئًا وشرًّا مستطيرًا

أخافت من النسر هاكذا على صحرم واقفًا بهوتًا لا يبدي حراكًا ولو اتيح لهُ لقلّد النسر على جاري عادتهِ وعاث بينها فسادًا لكن لسان الحال نادى أطرق كرى ان النعامة في القرى . فرقد ولكنهُ لم يطرق بل احدق في الجو كأن شيئًا فيهِ استهواهُ

ومن عادة السنور البري وهو اكبر الضواري في ذلك الوادي ان يخرج ويتشمّس في الضاحية فهو الآن على وجهه ووقف فيهِ وعيناهُ تقدحان شررًا حتى تحسبهما سراجين وقّادين

واتضح حينئذٍ ان كل الحيوانات التي هناك كانت ترقب شيئًا آتيًا من جهة الشمس ولم

يكن الاَّ نقطة سوداء في الجو ثم جعل يكبر رويدًا رويدًا باقترابهِ من تلك الحيوانات كأنهُ رآها مع بعدهِ الشاسع عنها كما رأتهُ هي فزفَّ اليها المطايا

ولم يكن الاَّ لحظات قليلة حتى بان انهُ طائر من الجوارح ثم اتضح انهُ النسر بعينهِ ملك الطيور . وكأن هاتفًا قال لتلك الحيوانات اصغي فقد جاء الملك . والملك نفسهُ اعلن قدومهُ بصفير سمعهُ القاصي والداني ثم حوَّم وجثم على قنة اعلى الصخور وضمَّ جناحيهِ متأنيًا غير عجول

بقي الصمت اخرى كأن لا طير في تلك البقعة ولا وحش ولا شيءٌ من خشاش الارض ولكن ملك الطيور ادرى لانهُ مارس الامور فلا تخدعهُ الظواهر وما صمتُ هذه الحيوانات في حضرتهِ الاَّ برهانًا على هيبتهِ وسطوتهِ

وغابت الشمس وارخى الليل سدولهُ ويزغت الكواكب ثم غابت ودار الفلك دورتهُ وطلعت ذكاء بجلالها وملك الطيور واقف على صخرهِ ينظر في عينها تارة ويجيل بصرهُ فيما حولهُ اخرى ولكنهُ لا يلقي نظرهُ حتى تُرَدَّ اليهِ نظرات من سكان الانجم والاشجار والاوكار والاوجار فانها كلها ادركت شأنهُ بسليقة موروثة ولو لم يرهُ اكثرها مرأى العين من قبلُ . وكان اميرها الذي تعنى لامرهِ فيتصرف فيها كما يشاء تصرُّف المالك بملكهِ صقرًا غشومًا لهُ مع الغربان مواقع مشهورة

وقام من الغربان حينئذٍ زاغ احمق اخذ منهُ نزق الشباب كل مأخذ لاسيما وانهُ كان عاشقًا يفتش عن زاغة تبتَّهُ فنشر جناحيهِ وطار من شجرة الى اخرى وكأنهُ جهل وجود الملك على مقربة منهُ او عدَّ السنور من الصقور . الاَّ ان الملك لم يجاهلهُ فنهض وبسط جناحيهِ واقبل نحو الوادي فالتفت الزاغ واذا بملك الطيور منقضٌّ عليهِ وعخالب رجليهِ تلمع كانياب اغوال فاعتراهُ الدوار وكادت روحهُ تزهق من بين جنبيهِ لكن بداهتهُ لم تفارقهُ فبسط جناحيهِ باسرع من البرق وفرَّ نحو اسفل الوادي ولسان الحال ينشدهُ اين المفرُّ والقضاء المدركُ . فان النسر انقضَّ عليهِ انقضاض البرق وخطفهُ من ايدي القدر وعاد بهِ الى عشهِ وبعد قليل جعلت الريح تعبث بريشهِ وملك الطيور ينعم باكل لحمهِ ومص دمهِ وسائر انواع الحيوان تتطلع وتعتبر

فلندعهُ هنيهة يأكل هنيئًا مريئًا ثم نلتفت اليهِ فنراهُ ينظف مخالبهُ بمنسرهِ ومنسرهُ يمسحهُ على الصخر . ومن يأكل لحمًا ولا ينظف يديهِ وفاهُ فهو قذر يجهل قوانين الصحة وشروط النظافة . ثم تحمحم ووقف على قدميهِ وبسط جناحيهِ والقى بنفسهِ في الهواء واطلق جناحيهِ

الريح وجعل يدور دوراناً لولبياً و يعلو علواً رويداً الى ان بلغ عنان السماء وكاد يغيب عن الابصار كأنهُ قصد النسر من الشمس ليتمتع بمرآها قبلما يرتدّ و ينقضّ على فرائسهِ اما هو فلم يفعل ذلك ومن أدرى متهُ بمعرفة ما يصلح لهُ وقد علمتهُ التجارب وحنكتهُ السنون بعد ان بلغ من العمر عتيّاً

و بعد ساعة زمانية انحدر فرآتهُ الطيور والوحوش فهرب بعضها من وجههِ ووقف البعض الآخر في مكانهِ كالاصنام ومن ذلك القطا والحجال والارانب البرية واكثر الطيور الخرائض ودجاج الغاب وثلاث من الاراوي كانت ترد الماء من بحيرة في قلب الوادي وكان النسر جاء وارداً ايضاً فلم يكد يدنو منها حتى اطلقت سوقها للريح تجدّ وراءها كأنهُ يحاول اقتناصها وما هو الاَّ لاعب ثم عاد الى البحيرة وغاص في الماء فاضحى اضحوكة للناظرين. ومَن يتالك نفسهُ عن الضحك اذا رأى واحداً يحاول السباحة وهو لا يحسنها ولو كان ملكاً رفيع الشأن. وجعل يخيط كأنهُ يفتش عن شيء اضاعهُ ثم وثب من الماء ووقف على الشاطىء وفي مخالبهِ سمكة حية وانتقل من الشاطىء الى قمة صخرة وجعل يمزق السمكة ويزدردها الى ان اتى عليها كلها ثم نظف مخالبهُ ومنسرهُ

وفي غضون ذلك نشب اخصام بين ذكرين من ذكور القطا فاستيقظ السنّور البري من قيلولتهِ وجعل يتلصص الى ان دنا منها ثم وقف ونزَّ متهيئاً للوثوب عليها واذا بظل ظليل مرَّ عليهِ وصوت حفيف اجنحة صمَّ اذنيهِ. فالتفت فرأى النسر طائراً فوقهُ فنفش ذنبهُ ونشب كالسهم الى اعمق مكان في وجرهِ اما النسر فاستمر في طريقهِ الى ان اصاب ارنباً كانت رأتهُ اكل السمكة فظنت انهُ شبع واكتفى فلم تحاذر فاختطفها وصعد بها الى معقلهِ ومزَّق لحمها والتهم نصفهُ ثم ارخى جناحيهِ وجثم لا يبدي حراكاً لا هو بالنائم ولا هو بالمستيقظ بل بين بين كأنهُ يفكر في امر عويص شغل بالهُ. وقبلما غابت الشمس استيقظ وجعل يتململ و ينظف ريشهُ من اوضار الصيد والقنص ثم تمطَّى مراراً وزف جناحيهِ وسقط نحو البحيرة فصبَّ منها كفافهُ وعاد الى الصخر فجثم وقضى الليل كلهُ لم يغمض لهُ جفن حتى اذا لاح الفجر نهض واطلق جناحيهِ للريح والتفتت الطيور والوحوش فلم ترهُ لكن هيبتهُ بقيت في نفوسها وهي تقول ان الملك تذهب وتأوب فلم تجسر على الخروج الاَّ بعد الضحى وحينئذٍ يامر الصقر الى رمَّة الارنب والغراب الى عظام الزاغ وجعل سكان ذلك الوادي يجولون على جاري عادتهم وتمطَّى السنّور واستلقى على صخر واغمض عينيهِ آمناً لان ملك الطيور كان حينئذٍ محلقاً في عنان السماء على خمسة عشر الف قدم فوق الارض وفي مكان يبعد عن هذا المكان مئات من

الامبال وهو لا يرى شيئاً على السيطة لان السحب كانت تحجبها عن بصره

بعد نحو اسبوع من الزمان خرج السنور الجائع يحيط به العوسج واستقى عليه في عين الشمس وجعل يتمرّغ ويتمطّى ويتثاءب ثم اغمض عينيه ولو لم يغمضهما لرأى ظلين يجريان على جانب الاكمة التي امامهُ ظلي نسرين لا نسر واحد فان النسر كان قد ضرب في بلاد الله يفتش عن زوجة مع انهُ بلغ من العمر عتيًّا فوجدها وامتلكها بقوة مخالبهِ وجاء بها . ولما اقتربا من سياج العوسج رأيا السنور فافترقا ووقف احدهما وهو الذكر على صخر يبعد عنهُ نحو مئة ذراع وبقيت الانثى تحوم فوق السنور لكنها لم تستطع ان تخفي صوتها فسمعهُ السنور ففتح عينيهِ واذا مخالبها فوق رأسهِ وفي تلك اللحظة عينها ادركت اعصابهُ الخطر قبل الوقوع فيهِ فحركت عضلاتهِ كلها واستفزتها لعمل ما فيهِ النجاة بل ادركت اعصابهُ ذلك من مجرّد مباغتهِ الحركة قبلما فتح عينيهِ فلما فتحها كان جسمهُ قد انسلّ بسرعة البرق وابتعد عن مخالبها وارتمى بين العوسج فاندفعت وراءهُ ولكن تعذّر عليها الوصول اليهِ واشواك العوسج قائمة في وجهها سياجاً لهُ

الى هنا فعل السنور فعل الحكيم المدبّر ولو وقف عند هذا الحد لنجا من مخالب الموت ولكن الغرور او حب الوطن زيّن لهُ ان لا سلامة الاّ في وجوره وهذا شأن السنانير فانها حكيمة اذا فطنت بالبداهة ولم تفكّر وجاهلة اذا اعتمدت على عقلها السقيم وتفكيرها العقيم وكان بينهُ وبين وجوره خمس اذرع في ارض مكشوفة وخصيتهُ بين العوسج يسر عليها التخلص سريعاً ولكن زوجها كان على مقربة منهما فلم يكد السنور يعود نحو وجوره حتى انقضّ عليهِ كالقضاء المبرم ، ورأى السنور ذلك فقال قضي الامر ولكن النفس عزيزة ولو نفس سنّور فانقلب على ظهرهِ وكشر عن نابيهِ وابدى مخالب كالمناجل ووقع النضال بينهُ وبين النسر وكان النسر في غيبتهِ قد التقى بقرن عنيد فحاربهُ وعاد من حربهِ مثخناً بالجراح لكنهُ بقي يعدُّ نفسهُ كفأً لعشرة من السنانير فاشتدّ النضال على السنور الى ان قضى عليهِ وكانت انثاهُ قد تخلصت من العوسج فلما وقع نظرهُ عليها هش اليها وبش وصار كلهُ صبابة ونسي انهُ من القشاعم فترك لها السنور كلهُ حاسباً اياهُ وليمة العرس

وفي اليوم التالي اخذ النسران يبنيان وكرهما في قنة ذلك الشاهق وعزما على الاقامة هنالك ما دام حبل الحياة موصولاً وبطلت الفوضى في ذلك الوادي وصارت مملكة تعنى لملك مستبد